كتاب

تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل

كتاب
تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل

تأليف

القاضي أبي بكر محمد بن الطيب
المتوفى سنة ٤٠٣ هـ

تحقيق

الشيخ عماد الدين أحمد حيدر
مركز الخدمات والابحاث الثقافية

مؤسسة الكتب الثقافية

بسم الله الرحمن الرحيم

مُلتزم الطبع والنشر والتوزيع
مُؤسَّسة الكُتب الثقافيّة فقط

الطبعة الأولى
١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م

مُؤسّسة الكُتب الثقافيّة
الصنائع . بناية الإتحاد الوطني . الطابق السابع . شقة ٧٨
هاتف المكتب : ٢٤٨٢٦٣-٢٤٤٣٦١ - المنزل : ٣١٥٧٥٩
ص.ب : ١١٤/٥١١٥ - برقيا : الكتبكو - تلكس : ٤٠٤٥٩
بيروت - لبنان

مُقَدِّمَةُ المُحَقِّق

الحمد لله مستخلص الحمد لنفسه، ومستوجبه على خلقه، هو الواحد المنفرد الذي لا من شيء كان ولا من شيء خلق، له قدرة بان بها من الأشياء وبانت الأشياء منه، سبحانه ليس له أول مبتدأ ولا غاية منتهى. ولا آخر يفنى، وهو سبحانه كما وصف نفسه والواصفون لا يبلغون نعته، أحاط بالأشياء كلها علمه وأتقنها صنعه، فلا يعزب عن علمه خواطر الورى ولا مكنون ظلم الدجى، ولا ما في السموات العلى إلى الأرض السابعة السفلى، فهو لكل شيء منها حافظ ورقيب، قال لما شاء أن يكون؛ كن فكان، ابتدع ما خلق بلا مثال سبق ولا تعب ولا نصب، وكل عالم من بعد جهل يعلم، والله لم يجهل ولم يتعلم، أحاط بالأشياء كلها علماً ولم يزدد تجربتها خبراً؛ علمه بها قبل كونها كعلمه بها بعد تكوينها، لم يكوِّنها لتسديد سلطان ولا خوف زوال ولا نقصان، ولا استعانة على ضد مناوىء، ولا ند مكاثر، ولكن خلائق مربوبون، وعباد آخرون، فسبحان الذي لا يؤده خلق ما ابتدأ، ولا تدبير ما برأ، خلق ما علم، وعلم ما أراد، ولا شبهة دخلت عليه فيما أراد، لكن قضاء متقن، وعلم محكم وأمر مبرم توحد بالربوبية، وخصّ نفسه بالوحدانية، فانفرد بالتوحيد، وتوحد بالتمجيد، فجلّ سبحانه وتعالى عن الأبناء وتطهر وتقدّس عن ملامسة النساء فليس له فيما خلق ندٌ، ولا فيما ملك ضد، هو الله الواحد الصمد، الوارث للأبد، الذي لا يبيد ولا ينفذ، ملك السموات العلى، والأرضين السفلى، له المثل الأعلى والأسماء الحسنى والحمد لله رب العالمين؛ ثم إن الله تبارك وتعالى سبحانه وبحمده خلق الخلق بعلمه ثم اختار منهم صفوته، واختار من كل خيار صفوته أمناء على وحيه، جعلهم أصفياء مصطفين أنبياء، مهديين نجباء، استودعهم وأقرّهم في خير مستقر، تناسختهم أكارم الأصلاب، إلى مطهرات الأمهات، كلما مضى منهم سلف انبعث لأمره منهم خلف، حتى

انتهت نبوة الله وأفضت كرامته إلى محمد ﷺ فأخرجه من أفضل المعادن محتداً، وأكرم المفارس منبتاً، وأمنعها ذروة، وأعزها أرومة، وأوصلها مكرمة من الدوحة التي صاغ منها أمناء وانتخب منها أنبياء، شجرة طيبة العود، باسقة الفروع، مخضرة الأصول والغصون، يانعة الثمار، كريمة المجنى، في كرم نبتت، وفيه بسقت وأثمرت وعزت فامتنعت، حتى أكرمه الله بالروح الأمين، والنور المبين، فختم به النبيين، وأتمّ به عدة المرسلين، وجعله خليفة على عباده وأمينه في بلاده، زيّنه بالتقوى وآثار الذكرى وهو إمام من اتقى، ونصر من اهتدى، سراج لمعَ ضوءه، وزند برق لمعه، وشهاب سطع نوره، فاستضاءت به العباد، واستنارت به البلاد، وطوى به الأحساب فأزجى به السحاب، وسخر له البراق حتى صافحته الملائكة وأذعنت له الألسنة، وسيرته القصد، وسنّته الرشد وكلامه الفصل، وحكمه العدل، فصدع ﷺ بما أمره به حتى أفصح بالتوحيد دعوته، وأظهر في خلقه لا إلّه إلاّ الله حتى أذعن الخلق بالربوبية وأقرّ له بالعبودية والوحدانية اللهمّ فخص محمد بالذكر المحمود والحوض المورود اللهمّ آت محمداً الوسيلة والرفعة والفضيلة واجعل في المصطفين محلته وفي الأعلين درجته، وشرف بنيانه وعظم برهانه، واسقنا بكأسه، وأوردنا حوضه، واحشرنا في زمرته، غير خزايا ولا ناكثين ولا شاكين ولا مرتابين ولا ضالين ولا مفتونين ولا مبدلين ولا حادين ولا مضلين.

أما بعد؛

كان المسلمون عند وفاة النبي ﷺ على عقيدة واحدة وطريقة واحدة، إلاّ من كان يبطن النفاق ويظهر الوفاق، ثم نشأ الخلاف فيما بينهم أولا في أمور اجتهادية، وكان الغرض منها إقامة مراسيم الدين وإدامة مناهج الشرع القويم، وذلك كاختلافهم عند قول النبي ﷺ في مرقد موته: إئتوني بقرطاس أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعدي حتى قال عمر: إن النبي قد غلبه الوجع حسبنا كتاب الله، وكثر اللغط في ذلك حتى قال النبي: قوموا عني لا ينبغي عنده التنازع. ا. هـ.

ومن هذا الخبر نعلم أن هذا النزاع إنما هو نزاع في الإمامة ومنصب

الخلافة، ولكن هذا النزاع لم يلبث أن انتهى بمبايعة سيدنا علي لسيدنا أبي بكر على رؤوس الأشهاد، فاتحدت كلمة المسلمين في عهد أبي بكر، ولم يكن هذا الخلاف أيضاً على عهد عمر، ولا على عهد عثمان؛ إلاّ ما كان من خلاف على أمور نقموها منه في النظم العامة، وانتهى الأمر باستشهاده رضي الله عنه نتيجة لدس غير المسلمين في المسلمين، وكان قتله الفتنة الكبرى والمحنة العظمى، إذ تمكن الأعداء للدين من إذكاء نار الفتن بين المسلمين، حتى اتّسع الخلاف بين قاتليه وخاذليه، وانسحب الحكم على سيدنا علي في خلافته، ووقع بينه وبين أصحاب الجمل وبين معاوية وأهل صفين وما دار بين الحكمين ما أدى إلى الاختلاف، ومكّن للتفرق بين من والى عليه ومن خرج عليه لأنه رضي بالتحكيم، فوجدت الفرقتان الموالين والخوارج؛ غير أن من والى علياً على عهد خلافته من المهاجرين والأنصار الذين أخلصت نفوسهم وضعت، فلم يكن لهم دافع إلاّ الاجتهاد لمصلحة المسلمين، ولم يكن أحد منهم ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ، وكان مع علي في حرب صفين من أصحاب بيعة الرضوان ثمانمائة صحابي، استشهد منهم تحت رايته ثلاثمائة، ثم اتسع الأمر أيضاً في خلافة علي، فظهر في عهده فرقة السبيئة الذين يسبون أصحاب رسول الله إلاّ قليلاً وينسبونهم إلى الكفر والنفاق ويتبرؤون منهم، ولذا سموا أيضاً «بالتبرئة» وقد تبرأ منهم الإمام علي، وكان يتزعم هؤلاء عبد الله بن سبأ اليهودي الذي أظهر الإسلام خداعاً للمسلمين ودعا إلى الغلو في عليّ لأجل تفريق هذه الأمة، كما فعل أمثاله من النصرانية قديماً وحديثاً بسبب ما كان من العداوة والقتال بين قومه وبين النبي ﷺ وإجلاء عمر من بقي منهم في أرض الحجاز، وأعان ابن سبأ على بدعته آخرون من أهل ملته ومن زعماء النصارى والوثنيين والصابئة، فحدثت الفرق كما أخبر النبي ﷺ في افتراق الأمة ثلاثاً وسبعين فرقة منها واحدة ناجية، تصير إلى جنة عالية وبواقيها عادية تصير إلى الهاوية، والنار الحامية.

ترجمة المؤلف

اسمه ونسبته:

هو القاضي أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم أبو بكر الباقلاني بفتح الباء الموحدة وبعد الألف قاف مكسورة وبعدها نون، هذه النسبة إلى الباقلي وبيعه، وقد أنكر الحريري في كتاب «درة الغواص» هذه النسبة وقال من قصر الباقلي قال في النسبة إليه: «باقلّي ومن مد قال في النسب إليه باقلاوي وباقلائي ولا يقاس على صنعاء وبهراء لأن ذلك لا يعاج إليه»[1]. البصري صاحب التصانيف في علم الكلام وهو الملقب بسيف السنّة ولسان الأمة المتكلم على لسان أهل الحديث وطريق الشيخ أبي الحسن الأشعري[2]، وأما مولده فلم نجد ترجمة تذكر لنا متى وُلِد ولا أين، غير أنه بصري النسبة وأنه سكن بغداد ونشأ فيها لأنه يذكر أنه سمع الحديث بها ونستقي من القرائن والحكايات التي دارت بينه وبين ملك الروم بأمر من عضد الدولة أنه ولد بعد النصف الثاني من القرن الرابع أو قبيله على أن السلطان عضد الدولة توفي عام ٣٧٢هـ.

مشايخه:

سمع الحديث من أبي بكر بن مالك القطيعي، وأبي محمد بن ماسي، وأبي أحمد الحسين بن علي النيسابوري[3]، وأخذ علم النظر عن أبي

---

(١) انظر وفيات الأعيان ٤/ ٢٧٠.

(٢) انظر الوافي للصفدي ٣/ ١٧٧.

(٣) انظر تاريخ بغداد ٥/ ٣٧٩.

عبد الله بن مجاهد الطائي صاحب الأشعري[1]، خرّج له محمد بن أبي الفوارس يعني الحنبلي وحدثنا عنه القاضي أبو جعفر محمد بن أحمد السمناتي وكان ثقة[2]. فأما علم الكلام فكان أعرف الناس به وأحسنهم خاطراً، وأجودهم لساناً، وأوضحهم بياناً وأصحهم عبارة، وله التصانيف الكثيرة المنتشرة في الرد على المخالفين من الرافضة، والمعتزلة، والجهمية والخوارج وغيرهم[3].

مناقبه:

كان الإمام أفضل المتكلمين المنتسبين إلى الأشعري كان سيف السنة وأوحد وقته في فنه وانتهت إليه الرياسة في مذهبه، وكان موصوفاً بجودة الاستنباط وسرعة الجواب، وقال ابن عساكر إن الشيخ أبا القسم بن برهان النحوي يقول: من سمع مناظرة القاضي أبي بكر لم يستلذ بعدها بسماع كلام أحد من المتكلمين والفقهاء والخطباء والمترسلين ولا الأغاني أيضاً من طيب كلامه وفصاحته وحسن نظامه وإشارته. له التصانيف الكثيرة والرد على المخالفين[4]. وقد حدث أن ابن المعلم شيخ الرافضة ومتكلمها حضر بعض مجالس النظر مع أصحاب له إذ أقبل القاضي أبو بكر الأشعري فالتفت ابن المعلم إلى أصحابه وقال لهم: «قد جاءكم الشيطان فسمع القاضي كلامهم وكان بعيداً من القوم فلما جلس أقبل على ابن المعلم وأصحابه وقال لهم: قال الله تعالى: ﴿ **إنّا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم** أزاً﴾ أي إن كنتُ شيطاناً فأنتم كفار وقد أرسلت إليكم»[5].

قال البغدادي حدثنا أبو القاسم علي بن الحسن بن علي أبي عثمان

---

(١) انظر شذرات الذهب ٣/ ١٦٩.
(٢) انظر تبيين كذب المفتري ص/ ٢١٧.
(٣) انظر شذرات الذهب ٣/ ١٦٩.
(٤) انظر تبيين كذب المفتري ص/ ٢١٩.
(٥) انظر تاريخ بغداد ٥/ ٣٧٩.

الدقاق وغيره أن الملك الملقب بعضد الدولة كان قد بعث القاضي أبا بكر بن الباقلاني في رسالة إلى ملك الروم، فلما ورد مدينته عرف الملك خبره وبين له محله من العلم وموضعه، فأفكر الملك في أمره وعلم أنه لا يكفر له إذا دخل عليه، كما جرى رسم الرعية أن تقبل الأرض بين يدي الملوك ثم نتجت له الفكرة أن يضع سريره الذي يجلس عليه وراء باب لطيف لا يمكن أحداً أن يدخل منه إلّا راكعاً ليدخل القاضي منه على تلك الحال فيكون عوضاً من تكفيره بين يديه، فلما وضع سريره في ذلك الموضع أمر بإدخال القاضي من الباب فسار حتى وصل إلى المكان، فلما رآه تفكر فيه ثم فطن بالقصة فأدار ظهره، وحنى رأسه راكعاً ودخل من الباب وهو يمشي إلى خلفه قيد استقبل الملك بربرة حتى صار بين يديه، ثم رفع رأسه ونصب ظهره، وأدار وجهه حينئذ إلى الملك، فعجب من فطنته ووقعت له الهيبة في نفسه[1].

وروى ابن عساكر عن القاضي أبي المعالي عريزي بن عبد الملك أنه قال وقيل إنه دخل إليه يوماً فرأى عنده بعض مطارنته ورهبانيته فقال له مستهزئاً به كيف أنت وكيف الأهل والأولاد فتعجب الرومي منه وقال له ذكر من أرسلك في كتاب الرسالة أنك لسان الأمة ومتقدم على علماء الملة أما علمت أنا ننزه هؤلاء عن الأهل والأولاد فقال القاضي أبو بكر أنتم لا تنزهون الله سبحانه وتعالى عن الأهل والأولاد وتنزهونهم فكأن هؤلاء عندكم أقدس وأجل وأعلى من الله سبحانه وتعالى فوقعت الهيبة في نفس الرومي[2].

وقال بلغني ان طاغية الروم قال له وقصد توبيخه أخبرني عن قصة عائشة زوج نبيكم وما قيل فيها فقال له القاضي أبو بكر: هما اثنتان قيل فيهما ما قيل زوج نبينا ومريم بنت عمران فأما زوج نبينا فلم تلد وأما مريم فجاءت بولد تحمله على كتفها وكل قد برأها الله مما رميت به فانقطع الطاغية ولم يحر جواباً[3].

---

(١) انظر تاريخ بغداد ٥/٣٧٩، ٣٨٠.

(٢) انظر تبيين كذب المفتري ص/٢١٨، ٢١٩.

(٣) انظر تبيين كذب المفتري ص/٢١٩.

وجرى بينه وبين أبي سعيد الهاروني مناظرة فأكثر القاضي أبو بكر الكلام فيها ووسع العبارة وزاد في الإسهاب والتفت إلى الحاضرين وقال: اشهدوا عليّ ان أعاد ما قلت لا غير لم أطالبه بالجواب، فقال الهاروني: إشهدوا علي إن أعاد كلام نفسه سلمت ما قال[1].

وعن أبي الفرج أحمد بن عمران الخلال يقول: كان ورد القاضي أبي بكر محمد بن الطيب في كل ليلة عشرين ترويحة ما تركها في حضر ولا سفر، قال وكان كل ليلة إذا صلى العشاء وقضى ورده وضع الدواة بين يديه وكتب خمساً وثلاثين ورقة تصنيفاً عن حفظه وكان يذكر أن كتبه بالمداد أسهل عليه من الكتيبة بالحبر وإذا صلى الفجر دفع إلى بعض أصحابه ما صنفه في ليلته وأمره بقراءته عليه وأملى عليه الزيادات فيه.

قال أبو الفرج وسمعت أبا بكر الخوارزمي يقول: كل مصنف ببغداد إنما ينقل من كتب الناس، إلى تصانيفه سوى القاضي أبي بكر فإن صدره يحوي علمه وعلم الناس.

وعن علي بن محمد بن الحسن الحربي المالكي قال كان القاضي أبو بكر الباقلاني يهم بأن يختصر ما يصنفه فلا يقدر على ذلك لسعة علمه وكثرة حفظه قال وما صنف أحد خلافاً إلاّ احتاج أن يطالع كتب المخالفين عدا القاضي أبي بكر فإن جميع ما كان يذكر خلاف الناس فيه صنّفه من حفظه.

وعن أبي محمد اليافي يقول: لو أوصى رجل بثلث ماله أن يدفع إلى أفصح الناس لوجب أن يدفع إلى أبي بكر الباقلاني.

وعن الشيخ الإمام أبو حاتم محمود بن الحسين القزويني أن ما كان يضمره القاضي الإمام أبو بكر الأشعري رضي الله عنه من الورع والديانة والزهد والصيانة أضعاف ما كان يظهره فقيل له في ذلك فقال: إنما أظهر ما

---

(١) انظر وفيات الأعيان ٤/ ٢٦٩.

أظهره غيظاً لليهود والنصارى والمعتزلة والرافضة والمخالفين لئلا يستحقروا علماء الحق والدين فأضمر ما أضمره فإني رأيت أكرم مع جلالته نودي عليه بذوقه وداود بنظره ويوسف بهمه ومحمد بخطرة عليهم السلام.

وعن عبد الله الحسين بن محمد الدامغاني قال: لما قدم القاضي الإمام أبو بكر الباقلاني بغداد دعاه الشيخ أبو الحسن التميمي الحنبلي رحمهما الله إمام عصره في مذهبه وشيخ مصره في رهطة وحضر الشيخ أبو عبد الله بن مجاهد والشيخ أبو الحسين محمد بن أحمد بن سمعون وأبو الحسن الفقيه فجرت مسئلة الاجتهاد بين القاضي أبي بكر وبين أبي عبد الله بن مجاهد وتعلق الكلام بينهما إلى أن انفجر عمود الصبح وظهر كلام القاضي عليه رحمهما الله وكان أبو الحسن التميمي الحنبلي يقول لأصحابه تمسكوا بهذا الرجل فليس للسنّة عنه غنى أبداً [1].

تواليفه:

لقد روى كثير من المترجمين أن الإمام كان كل ليلة إذا صلى العشاء وقضى ورده وضع الدواة بين يديه وكتب خمساً وثلاثين ورقة تصنيفاً من حفظه وأن كتبه جمعت وقسمت على أيام حياته، فخصّ كل يوم منها عشر ورقات فلا شك وريب أن الله قد أوسع له الوقت لصدقه وإخلاصه بالعطاء فالله قادر على كل شيء فقد أخر الله الشمس عن وقت مغيبها مرات في أزمنة وأصقاع عديدة والله يبارك في الساعات لمن يشاء إذا كان الإمام كثير التأليف فكان أكثر ما صنفه في الرد على الفرق المخالفين لعقيدة أهل السنّة والجماعة كما يقول ابن العماد في الشذرات أنه صنّف تصانيف واسعة في الرد على الفرق الضالة وكما روى ابن عساكر أن الإمام له التصانيف الكثيرة في الرد على المخالفين من الرافضة والمعتزلة والجهمية والخوارج وغيرهم. وهناك قرينة

---

(١) انظر تبيين كذب المفتري ص/ ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢.

أيضاً تدل على ذلك وهو ما يذكره ابن عساكر أن الشيخ أبا الفضل التميمي يوم وفاته حضر العزاء حافياً مع إخوته وأصحابه وأمر أن ينادي بين يدي جنازته هذا ناصر السنة والدين هذا إمام المسلمين هذا الذي كان يذب عن الشريعة ألسنة المخالفين، هذا الذي صنّف سبعين ألف ورقة رداً على الملحدين.

أما أسماء هذه الكتب فمنها ما ذكرها الإمام في كتابه هذا الذي بين أيدينا منها:

١ ـ كتاب «كيفية الاستشهاد في الرد على أهل الجحد والعناد».

٢ ـ كتاب «الأصول الكبير في الفقه» وذكره في هداية المسترشدين وأشار إليه أبو المظفر الاسفراييني في كتاب «التبصير» ص ١٩٣.

٣ ـ كتاب «مناقب الأئمة» أو «الإمامة الكبير» ذكره في «هداية المسترشدين» في ذكر آية انشقاق القمر؛ حيث يقول: «وقد تقصينا القول في ذلك في كتاب «الإمامة» بما يغني متأمله» وهو كتاب حافل بين فيه ما جرى بين الصحابة وذكره حاجي خليفة ص١٨٤١.

٤ ـ كتاب «أكفار المتأولين» ذكره في باب ذكر ما يوجب خلع الإمام وسقوط فرض طاعته. حيث يقول: «وقد ذكرنا ما في هذا الباب، في كتاب «أكفار المتأولين».

٥ ـ كتاب «كشف الاستار في الرد على الباطنية». وقد ذكر السبكي في طبقاته في ترجمة محمد بن الموفق بن سعيد بن علي بن حسن بن عبد الله الجنوشاني حيث يقول: «وقد بين نسبهم جماعة منهم أبو بكر الباقلاني فإنه كشف قرار كتابه المسمّى «بكشف الأسرار الباطنية» بطلان نسب هؤلاء إلى الإمام علي كرّم الله وجهه وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» ١١/ ٣٥٠في ترجمة القاضي أبو بكر الباقلاني حيث ذكر مصنفاته وقال: من أحسنها كتابه في الرد على الباطنية الذي سمّاه «كشف الأسرار وهتك الأستار» وذكره في صفحة ٣٤٦ في ترجمة علي بن محمد بن

الحسين بـن يوسف؛ حيث يقول: وقد صنف القاضي الباقلاني كتاباً في الرد على هؤلاء وسمّاه «كشف الأسرار وهتك الأستار» بيّن فيه فضـائحهم وقبـائحهم، ووضع أمـرهم لكل أحـد ووضوح أمـرهم ينبىء عن مطاوي أفعالهـم، وأقوالهـم، وقد كان الباقلاني يقـول في عبارتـه عنهم: «هم قوم يـظهـرون الـرفض ويبـطنـون الكفـر المحض». وذكـر حـاجي خليفـة:

٦ ـ كتاب «الملل والنحل» ذكره حاجي خليفة.

٧ ـ كتاب «هداية المسترشدين»، و «المقنع في معرفة أصول الدين» ذكره أبو المظفر الاسفراييني في التبصير ص ١٩٣. ولم يبق من هذا الكتاب سوى مجلد وهـو في مكتبة الأزهـر يحتوي على ٢٤٨ ورقة كتبه محمـد بن عبـد الله العدوي، «بمدينة صور» في سنة٤٥٩ وقد أصاب التلف في أوراق عديـد من الكتـاب ويشتمـل هـذا المجلد على أحـد عشـر جـزءاً من تجـزئـة المؤلف، تبتدىء بأول الجزء السادس، وتنتهي بانتهاء الجزء السابع عشر وهذه الأجزاء كلها مقصورة على القول في النبوات وأهم مـا فيها وأروعـه تلك الأبحـاث الجليلة الـطويلة، التي أدار البـاقـلاني الكـلام فيهـا على «إعجاز القرآن» وملأ بها ستـاً وخمسين ومائـة ورقة وهي أكبـر حجماً من كتـاب «إعجاز القـرآن» واغزر مـادة، وأكثر تفصيـلاً، وأعمق بحثاً، وأدق بياناً.

٨ ـ كتاب «نقض النقض» ذكره أبو المظفر الاسفراييني في التبصير ص ١٩٣.

٩ ـ كتـاب «الفرق بين معجـزات النبيين» و «كـرامـات الصـالحين» ذكـره في «هـدايـة المسـترشـدين» حيث يقـول: «وقـد بيّنـا في كتـاب الفـرق بين معجزات النبيين وكرامـات الصالحين معنى وصف النبيّ أنـه نبي وأن من الناس من قال: إنه مشتق ومأخوذ من الإنباء عن الأشياء والإخبار عن الله عزّ وجلّ.

١٠ ـ كتاب «الانتصار لصحة نقل القرآن والرد على من نحله الفساد بزيادة أو نقصان» وقد قال في مقدمته: «أما بعد فقد وقفت تولى الله عصمتكم وأحسن هدايتكم وتوفيقكم على ما ذكرتموه من شدة حاجتكم إلى الكلام في القرآن وإقامة البرهان على استفاضة أمره، وإحاطة السلف بعلمه وانقطاع العذر في نقله وقيام الحجة على الخلق به، وإبطال ما يدعيه أهل الضلال من تحريفه وتغييره ودخول الخلل فيه وذهاب شيء كثير منه وزيادة أمور فيه وما يدعيه أهل الإلحاد وشيعتهم من منتحلي الإسلام من تناقض كثير منه وخلو بعضه من الفائدة وكونه غير متناسب وما ذكروه من فساد النظم. ودخول اللحن فيه، وركاكة التكرار، وقلة البيان وتأخير المقدم وتقديم المؤخر إلى غير ذلك من وجوه مطاعنهم. وذكر جمل مما روي من الحروف الزائدة، والقراءات المخالفة لمصحف الجماعة، والإبانة عن وهاء نقل ذلك وضعفه وأن الحجة لم تقم بشيء منه وعرف ما وضعتموه من كثرة استضرار الضعفاء بتمويههم وعظم موقع الاستبصار والانتفاع بنقض شبههم. ونحن بحول الله وعونه نأتي بجمل تزيل الريب والشبهة وتوقف الواضعة، ثم بدأ بالكلام في نقل القراءات وقيام الحجة به ووصف توفر همم الأمة على نقله وحياطته ثم ذكر مناقب أبي بكر ثم عمر ثم عثمان وبيان جمعه للقرآن وكشف الأكاذيب من الروايات الشاذة عن عمر وعثمان وعلي وأبيّ وعبد الله بن مسعود وغير ذلك مما حصل أيام عثمان ثم يقول:

ونصف جملاً من مطاعن الملحدين واتباعهم من الرافضة في كتاب الله عزّ وجلّ ونكشف عن تمويه الفريقين بما يوضح الحق. ونذكر في كل فصل من هذه الفصول بمشيئة الله وتوفيقه ما فيه بلاغ للمهتدين، وشفاء وتبصرة للمسترشدين توخياً لطاعة الله جلّ وعزّ ورغبة من جزيل ثوابه وما توفيقنا إلاّ بالله وهو المستعان.

وقد ذكره في «هداية المسترشدين» حيث يقول: «وقد ذكرنا في

كتاب «الانتصار لصحة نقل القرآن» جميع مطاعن الملحدة وكل من خالف عن الملة على القرآن، وكشفنا عن فساد توهمهم وتمويههم ودعواهم لتناقض آيات منه واختلافهم؛ وما طعنوا به من كثرة التكرار. . . ».

١١ ـ كتاب «دقائق الكلام والرد على من خالف الحق من الأوائل ومنتحلي الإسلام» ذكره في «هداية المسترشدين». وذكره أيضاً ابن كثير في «البداية والنهاية» ١١/ ٣٥٠ أن للباقلاني كتاباً اسمه «دقائق الحقائق» فلعله يكون هو ولعله غيره.

١٢ ـ كتاب «التقريب والإرشاد» في أصول الفقه ذكره أبو المظفر الاسفراييني في كتاب «التبصير» ص ١٩٣.

١٣ ـ كتاب «الكسب» ذكره أبو المظفر الاسفراييني في «التبصير» ص ١٩٣.

١٤ ـ كتاب «النقض الكبير» ومنه هذا النص الذي أورده إمام الحرمين في الشامل قال أبو بكر الباقلاني في «النقض الكبير»: من زعم أن السين من بسم الله بعد الباء، والميم بعد السين الواقعة بعد الباء لا أول له فقد خرج عن المعقول، وجحد الضرورة وأنكر البديهة، فإن اعترف بوقوع شيء بعد شيء فقد اعترف بأوليته، فإن ادعى أنه لا أول له، فقد سقطت مما جنته وتعين لحوقه بالسفسطة. وكيف يرجى أن يرشد بالدليل من يتواقح في جحد الضروري.

١٥ ـ كتاب «الرد على الرافضة والمعتزلة» و «الخوارج والجهمية» ذكره الصفدي في الوافي ٣/ ١٧٧.

ومن ثم كتاب «الانصاف» وهو المسمى برسالة الحرة وقد عني مركزنا بتحقيقه وكان قد سبق وحققه الشيخ محمد زاهد الكوثري وطبع بالقاهرة في سنة ١٣٦٩، وقد ذكر الباقلاني في أول مقدمته أما بعد. فقد وفقت على ما التمسته «الحرة» الفاضلة الدينة أحسن الله توفيقها لما

تتوخاه من طلب الحق ونصرته، وتنكب الباطل وتجنبه واعتماد القربة باعتقاد المفروض من أحكام الدين واتباع السلف الصالح من المؤمنين، من ذكر جمل ما يجب على المكلفين اعتقاده، ولا يسع الجهل به، وما إذا تدين به المرء صار إلى التزام الحق المفروض، والسلامة من البدع والباطل المرفوض وأن يحول الله تعالى دعوته، ومشيئته وطوله اذكر لها جملاً مختصرة تأتي على البقية من ذلك ويستغنى باوقوف عليها عن الطلب واشتغال الهمة بما سواه.

١٦ ـ كتاب «إعجاز القرآن» وهو من أجود ما ألّف في هذا الفن وقد ذكر في مقدمته: إن الذين ألفوا في «معاني القرآن» من علماء اللغة والكلام، لم يبسطوا القول في الإبانة عن وجه معجزته والدلالة على مكانه مع أن الحاجة إلى ذلك البيان أمسّ والاشتغال به أوجب فهو أحق بالتصنيف من الخبر والاعراض وغريب النحو وبديع الاعراب. وإن ما صنفه العلماء في هذا المعنى جاء غير كامل فربا به، قد أقل بتهذيبه وأهمل ترتيبه، وقد التمس لبعضهم العذر فيما وقع منه من تفريط لأن بيان وجه الإعجاز «مما لا يمكن بيانه إلّا بعد التقدم في أمور عظيمة القدر، دقيقة المسلك، لطيفة المأخذ وقال: إن الجاحظ «صنف في نظم القرآن كتاباً لم يزد فيه على ما قاله المتكلمون قبله ولم يكشف عما يلتبس في أكثر هذا المعنى».

وقد قام مركزنا بتحقيقه وكان قد سبق وطبع في مصر ونشرته دار المعارف بتحقيق الأستاذ أحمد صقر.

١٧ ـ كتاب «التبصرة» ذكره ابن كثير في البداية والنهاية ١١/ ٣٥٠.

١٨ ـ كتاب «شرح الإبانة» ذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» ١١/ ٣٥٠.

وغير ذلك من المجاميع الكبار والصغار.

وأما التمهيد وهو الذي بين أيدينا وهو كتاب في الرد على أهل البدع

المردية، بعد أن يبين عقائدهم وآراءهم فلا شك انه كتاب جليل يستحق أن يعنى به وينشر ليتوفر لكل مسلم الحصول عليه ويؤيد ذلك ما يذكره ابن عساكر عنه في تبيين كذب المفتري ص ١٢٠ من أن السلطان عضد الدولة دفع إليه ابنه يعلمه مذهب أهل السنّة وألّف له كتاب «التمهيد» فتعلق أهل السنّة به تعلقاً شديداً فكان عمدة لهم في استخلاص الأدلة للرد على المخالفين والدفاع عن مذاهب السلف وأهل السنّة وخير ما يعرف بهذا الكتاب ويدل على قيمته قول المؤلف في مقدمته أما بعد:

فقد عرفت إيثار سيدنا الأمير أطال الله من دوام العز بقاءه... لعمل كتاب جامع مختصر مشتمل على ما يحتاج إليه في الكشف عن معنى العلم وأقسامه وطرقه ومراتبه وضروب المعلومات وحقائق الموجودات. وذكر الأدلة على حدوث العالم وإثبات محدثه وأنه مخالف لخلقه، وعلى ما يجب كونه عليه من الوحدانية وكونه عالماً قادراً في أزله، وما جرى مجرى ذلك من صفات ذاته، وأنه عادل فيما انشأه من مخترعاته من غير حاجة منه إليها ولا مَحرك وداع وخاطر علل دعته إلى إيجادها تعالى عن ذلك، وجواز إرساله رسلاً إلى خلقه وسفراء بينه وبين عباده، وأنه قد فعل ذلك، وقطع العذر في إيجاب تصديقهم بما أبانهم به من الآيات، ودلّ به على صدقهم من المعجزات وجمل من الكلام على سائر أهل الملل والمخالفين لملة الإسلام من اليهود، والنصارى، والمجوس، وأهل التثنية وأصحاب الطبائع، والمنجمين ونعقب ذلك بذكر أبواب الخلاف بين أهل الحق وأهل التجسيم والتشبيه، وأهل القدر والاعتزال والرافضة والخوارج، وذكر جمل من مناقب الصحابة وفضائل الأئمة الأربعة، وإثبات إمامتهم، ووجه التأويل فيما شجر بينهم ووجوب موالاتهم، ولن آلو جهداً فيما يميل إليه سيدنا الأمير، حرس الله مهجته، وأعلى كعبه، من الاختصار وتحرير المعاني والأدلة والألفاظ وسلوك طريق العون على تأمل ما أودعه هذا الكتاب وإزالة الشكوك فيه والارتياب، وأنا بحول الله وقوته، أسارع إلى امتثال ما رسمه، وأقف عنده،

وإلى الله جلّ ذكره أرغب في حسن التوفيق والامداد بالتأييد والتسديد.

أما عنوان الكتاب ففي المخطوط الباريسي التمهيد في الرد على الملحدة والرافضة والخوارج والمعتزلة وفي تراجم العلماء يعرفونه بـ «التمهيد» وكما ينوه عنه المصنف في مؤلفات له كما أشار إليه في كتاب «هداية المسترشدين» حيث يقول: وقد تكلمنا في «التمهيد» بجمل على اليهود والنصارى والمجوس تغني الناظر فيها، وكما أشار إليه الاسفراييني في «التبصير في الدين» ص/١٩٣ وقد أشير إليه بعنوان كتاب فيه «تمهيد الدلائل وتلخيص الأوائل» وكتاب «تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل» وعل هذه الزيادات من زيادات الناسخين ولعل تعريف العلماء والمصنف بهذا الكتاب اختصاراً والله أعلم بالصواب.

وفاته:

وتوفي القاضي أبو بكر المذكور آخر يوم السبت، ودفن يوم الأحد لسبع بقين من ذي القعدة سنة ثلاث وأربعمائة ببغداد رحمه الله تعالى وصلى عليه ابنه الحسن ودفنه في داره بدرب المجوس، ثم نقل بعد ذلك فدفن في مقبرة باب حرب ورثاه بعض شعراء عصره بقوله:

انظر إلى جبل تمشي الرجال به ... وانظر إلى القبر ما يحويه في الصلق
وانظر إلى صارم الإسلام مغتمدا ... وانظر إلى درّة الإسلام في الصدق [1]

منهج التحقيق:

لقد اعتمدنا بتحقيقنا على الطبعتين (دار الفكر العربي، والمكتبة الشرقية) ثم قارنا بين الطبعتين فوجدنا الأولى (دار الفكر) تزيد على الثانية (المكتبة الشرقية) من (باب القول معنى الخبر إلى آخر الكلام في إمامة علي

(١) انظر وفيات الأعيان ٤/١٦٩، ١٧٠.